مكتبة المقتطف

عبقرية الصديق

تأليف الاستاذ عباس محمود العقاد

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ، سنة ١٩٤٣ ، الثمن ٢٥ قرشا

ان شخصية أبي بكر هي إحدى الشخصيات الممتازة الاولى التي جعلت صاحبها حديث الناس — فلا نجد لاحد من اصحاب رسول الله من الذكر والشهرة ما نجد لأبي بكر ولا نجد إجماعاً على فضل كالاجماع الذي انعقد على أبي بكر ؛ ومع ذلك فان الذي روي من أخبار أبي بكر وما حفظ عنه ، وما عرف عن حياته الخاصة ، وما أثر من أحاديثه وخطبه ، أقل بكثير مما روي عن الذين لم يبلغوا مرتبته في الفضل ولم يذكروا على ألسنة الناس كما ذكر أبو بكر حتى صار ثاني اسم في الاسلام بعد رسول الله . ولم تكن شهرته قد جاءته بعد وفاة النبي ، ولم تكن من أجل خلافته على المؤمنين ، بل لقد كان أبو بكر مذكوراً مشهوراً مقدَّماً في حياة رسول الله . اذن فهناك أسباب قد حالت دون كثرة ما يجب أن نعرفه من اخبار أبي بكر ومن كلامه ومن خطبه ومن حياته الخاصة . وهذه الاسباب مردُّها على الاكثر الى الاضطراب الذي حدث بعد وفاة رسول الله ، ثم لموت كثير من الصحابة في قتال الردّة . ثم لاشتغال اكثر من عرف أبا بكر بأمر الجهاد وتشتتهم في البلاد ، ثم لاهتمام المسلمين بأمر اخبار رسولهم يحوطونها ويحفظونها أن تضيع ، ثم لقلة زمن خلافته ، ثم لمجيء العصر العبقري في صدر الاسلام ، عصر عمر بن الخطاب الذي كان يتدفق بقوة هذا الرجل العجيب الذي بهر الدنيا وشغل الناس

ولقلة ما عرف عن أبي بكر وقلة ما أثر من كلامه ، كان من العسير على الكاتب الذي يريد أن يكتب عن شخصيته أن يتوسع في تحديد صفاتها تحديداً يتفق مع الشهرة التي ذاعت له . ولذلك لجأ بعض الكتاب حين كتبوا عنه الى التاريخ يحشدونه وهو على عظيم الشأن في

ذاته ، ولكنهم لم يفردوا كتاباً يصورون به هذه الشخصية تصويراً يجعل قارىء الكتاب كأنما يصاحب هذا الرجل في حياته ، فيفهم أعماله وأقواله وأحكامه فهماً يتميز به عن غيره من عظماء الرجال . هذا الى أن تصوير شخصية ما ، عملٌ فني عسرٌ يقتضي أن يكون الكاتب مستولياً على خصائص في نفسه تهديه الى معرفة العناصر الاساسية التي تتكوّن منها الشخصية ، وتنبّهه الى الكلام أو العمل الذي ينبغي له أن يقف عنده طويلاً يتأمله ليستخرج منهُ هذه العناصر ، ثم تسوغه القدرة على ترتيب هذه العناصر بدقة لا تخطىء ، ثم تلهمه الاسلوب الموفق الذي يمزج به العناصر مزجاً وفيقاً حتى يصوغ منها الشخصية التي تفسر كل شيء من الاعمال المختلفة المتباينة تفسيراً منطقيّاً صحيحاً لا اختلال فيه .

وقد عرض الاستاذ العقاد لتصوير كثير من الشخصيات ، فكان عظيم التوفيق في استخلاص العناصر الاولى التي يجب أن تتوفر له في تصويرها ، ثم عرض في كتابه الاخير « عبقرية الصديق » صورة لأبي بكر الصديق ، كان فيها أكثر توفيقاً وأدق عملاً ، وكل الكلمات التي وقف عندها ، والاعمال التي تأملها ، كانت بغير شك أحفل الأشياء بالعناصر التي تكوّن منها صورة أبي بكر . وكان العقاد ماهراً في نفي ما لا حاجة للصورة به ، وأخذ ما لا تتم الصورة الاّ به ، ثم رتب ذلك ومزجه ، ورسم لنا شخصية أبي بكر بدقة تجعل القارىء يشعر ان الكاتب لم يتعب في عمله ، مع انهُ قد بذل من الجهد ما يستوفي التعب ويزيد عليه .

وكما استطاع العقاد ان يصل الى « مفتاح الشخصية » في صورة عمر بن الخطاب ، استطاع ايضاً ان يهتدي الى ان « مفتاح الشخصية » في صورة ابي بكر هو : « الاعجاب بالبطولة » . وقد قدم الادلة مفسرة لاعمال أبي بكر كلها ، فتعرف صدق ما ذهب اليه في اقباله على الاسلام اقبالاً لا تردد فيه ولا تعثّر ، ثم في صداقته لرسول الله واتباعه فيما جاء به من الحق ، ثم في اخلاقه التي امتاز بها أحسن الامتياز . ولم يفت العقاد ان يفصل أنواع الاعجاب بالبطولة ، وان يعطي أبا بكر منها ما هو موافق لطبيعته ومطابق لأقواله وأفعاله . فقد كان عمر بن الخطاب معجباً بمحمد شأنه بحاله ، ولكن الاعجاب بالبطولة كان صفة من صفاته ، ولم يكن صفته الاولى التي تغلب على كل الصفات ، ولذا فهي حق الاعجاب تقبض له قبة المناقشة والمراجعة . واستطاع ان يجمع بين التوقير والاستكبار والتفسير . وكانت له طريق الى الايمان تصاحب طريق الاعجاب وتنتهي معها الى منزل صاحبها . أما أبو بكر فكان الاعجاب بالبطولة أقرب طرقه الى الايمان وأكبرها على السواء «

ثم أراد أن يزيد رأيه بياناً ، لتظهر صورة أبي بكر على أتمها ، وبذلك يمهد للقارئ الطريق الى فهم أعمال أبي بكر وأقواله فهماً مميّزاً عن غيره من عظماء التاريخ ، فقارن في فصل سماه « نموذجان » ، بين أبي بكر وعمر بن الخطاب . فكان أبو بكر نموذج الاقتداء ، وكان عمر نموذج الاجتهاد ، فلذلك كان حب أبي بكر لشخص رسول الله هو الذي هداه الى الايمان بنبوّته ، وكان اقتناع عمر هو الذي هداه الى مثل هذا الايمان . وليست المقابلة بين هذين النموذجين مقابلة بين قوّة وضعفٍ ، وقدرة وعجز ، بل هي مقابلة بين القوة من نوع والقوة من نوع آخر ، فقد يكون الاقتداء خيراً كله ، ويكون الاجتهاد لا خير فيه ، وقد أبان العقاد عن نوع قوة أبي بكر بمقارنته بين موقفه وموقف عمر حين فجأهما موت رسول الله

ثار عمر وغضب وهدّد الناس ، وجاء أبو بكر هادئاً ساكناً فسكّن الناس ، فلما زالت غاشية المفاجأة ظهر أن عمر لم يكن ثورة كلّه ، بل كانت فيه الى جانب الثورة رويّة تعالج أدق المشكلات في أحرج أوقاتها ، وظهر ان أبا بكر لم يكن روية كله بل كان يزيله أحياناً عن رويته ما يثور في قلبه من الحب والألفة . وأتمّ ذلك بعرض أعمال أبي بكر وعمر في مسائل كثيرة اختلفا فيها كمسألة الردة ، وكمسألة خالد بن الوليد ، وكمسألة المؤلفة قلوبهم ، واستقصى علل الخلاف ، فكان مفتاح الشخصية الذي صنعه لكل منهما يفتح معه ما استغلق على كثيرين

وقد استطاع العقاد ايضاً أن يجمع العناصر المتفرقة من أخلاق أبي بكر وشمائله ويمزج ألوانها مزجاً دقيقاً حتى انتهى الى الغاية في تصوير الرجل بصورته التي تجعلها حية في نفس من يراها وتجعله يفهم لِمَ كان أبو بكر — وعلى قلة ما عرف عنه — هو الرجل الثاني في الاسلام بعد رسول الله . وأنّ هذه الطبائع والاخلاق هي التي كانت تمده لمواجهة الموقف الحرج الذي لازم موت رسول الله ، ولو كان غيره من العظماء الذين صحبوا رسول الله هو الذي واجه الموقف ، لكانت النتيجة التي ينتهي اليها أمر الاسلام غير موفقة كل هذا التوفيق الذي جعل أبا بكر يستحق رجل الشورة الاسلامية بعد صاحبها صلوات الله عليه وسلامه . واذا أنت انتهيت من قراءة الكتاب « عبقرية الصديق » لاحت لعينيك صورة صحيحة لبطل من الابطال استطاع أن يؤسس دولة جديدة خرجت الى الدنيا لتقسمها أن الانسانية قد كتب عليها أن تحيا حياة حرة سامية ، لا قيد فيها إلا قيد الخلق العظيم ، ولا هدف لها إلا السمو بالانسانية الى معاني الحق والجمال والعدل والمساواة بين الناس

*

ابراهيم الثاني

بقلم ابراهيم عبدالقادر المازني مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر — القاهرة ١٩٤٣ — ٢٢١ ص من القطع الصغير

نقد بقلم الدكتور بشر فارس

من سنوات عملت بحثاً في الفرنسية طرحته على أعضاء مؤتمر المستشرقين في بروكسل ثم نشرته لي « مجلة القاهرة » السنة الماضية ، وأظن « المقتطف » أجملت ما له في سنتنا هذه فخبرتك بأني نظرت في مجرى الأدب المصري لسنة ١٩٣٨ من الجانب الاجتماعي ، ومعنى هذا أني تناولت الكتب الأدبية على اختلاف ألوانها تناول من يستشف مجرى الحياة الاجتماعية من التآليف فيستخرج الحالات الذهنية والنفسانية والثقافية والارادية ويتبين النزعات المختلفة ، وبذلك يتحسس مدى الانقلاب الذي يعانيه الشرق العربي الآن

ومن هذه الوجهة أحب أن افتتح الكلام على « ابراهيم الثاني » . ذلك بأنه كتاب جيّاش بالحياة ، الحياة التي لا تني مندفقها خطة ملفقة في ذهن المنشىء ولا يعوق منفجرها قعود في الخاطر أو تباطؤ في الأداء . هو كتاب داخل في فن القصص ولكنه كالقصص المدوّن أولاً أولاً في دفتر يجول القلم فيه يوماً بعد يوم . ان حروف هذا الكتاب من مادة الحقيقة . هو مرآة للطور الذي نقبل عليه وربما دخلنا فيه من حيث لا ندري . ولا شك ان المرأة قطبه فانها الموجِّهة في أكثر الحال وان ظنّ بعض الاغرار ان أمر اتجاهها في قبضة الرجل وحدها . ومن هذا الباب خطر « ابراهيم الثاني » فانه يعرض ثلاثة أصناف من النساء المصريات الحديثات :

احداهنّ زوجة فطنة أحست أن رجلها ملول بل طرق بعض الشيء ، فبدلاً من أن تغضب وتثور و « تعكر عيشته » كما تقول اليوم أخذت تحيطه بالفتيات الحسان اللواتي يبهجن وبهنّ أناقة وايناس ، رجاء ان تدخل السرور على قلبه وتنشر الانبساط في جوه . وتلك حيلة تتفتق عن لباقة ، وما كنا نعرف نساءنا قادرات عليها . والغرض من وراء هذه الحيلة أن ينجو الرجل من باب الضجر فيتنقل بالفكر لا بغيره بين ازهار متفتحات فيعود بشوق وارتياح الى العش الذي اعتاده وان دبّ فيه الفتور

واما المرأة الثانية ففتاة حرّرت من التقاليد فكسّرت قيودها يوم نضجت فاستيقظت أنوثتها . فتراها على استعداد لتمكين حبيبها منها اذ رأت سعادته في ذلك . وتراها بعد ذلك حين تلتقي بعطفها ابراهيم « العاشق ؛ لا الثاني » تتعلق تريد أن تعدو بغير عنان وتحاول وتطلب أن تتحرر وتحمل في القليل الباقي لها من العمر كل ما يخطر في بالها أن تستمده من متع الحياة ولذاذات العيش »

وأما المرأة الثالثة فشأنها بدعة بل فتنة . أحبت بطلنا — ومن لا يهواه لحلو شمائله ؟ — فأصرت على أن تكون له قلباً وجسماً وان كان ذا زوج يودها ويجلها . بل أصرت على أن تنصرف عن الزواج «وتتبتل» اليه . أي هذا الفاتك الذي يغوي وهو يوهم المرأة ويحاول أن يوهم القارىء أنهُ غير مذنب وانهُ اجتهد في دفع خليلاته عن الغواية بالنصيحة والارشاد بل حملهن على تركانه وعلى إيثار شاب قابل للزواج على كهل (مولع بـ ... ونجة نفسه بالخادنة) . لذلك لا أصدق «ابراهيم الثاني» حين يخبرني في خاتمة قصة «ميمي» انها ولّت عنهُ راضية مقتنعة لتقترن بفتى لا تحبه الحب الصادق . ان في هذه الخاتمة تزيداً وتوشية . انما بذلك يحدثني حتى الدفين ، وعليّ التبعة وإن ثار المازني وهل يثار على أخ مثلي لا يرجف ولا يفشي سراً ، ولكنهُ يحكم بخاطره ، ولا بد من الحكم اذا نقد وتقصّى

هنّ ثلاث نساء مصريات شرقيات محصنات لا عهد لنا بأمثالهنّ ، غير انهنّ موجودات وقد يقربهنّ ويلمسهنّ من يغامر ويخاطر . وعرضهنّ في هذا الكتاب اثبات لطور جديد للمرأة أخذنهُ ذاهباً في الارتكاز باسترداد المرأة شخصيتها من طريق التثقف والتطلع الى حال المرأة الغربية

بقي ان أحدثك عن أسلوب الصديق المنشىء في سياقة أحوال هذه النساء الثلاث ، الى جنب حال البطل نفسه

أما الطريقة فهي الواقعية وما تنطوي عليه من وصف دقيق للأشياء ومن تحليل عميق للحالات والخطرات والنزعات . وربما جاء الحديث غاية في المباشرة فلا همس ولا تلويح ولا إيماء . وربما دخل في الاعتراف . مثال ذلك : ما يصرح به المنشىء في شأن البطل فهو يكاشفنا بأنهُ صاحب أناة ومواساة ومروءة وروية وهدوء وفطنة فليس للقارىء أن يعمل فكره لاستنباط كل ذلك واستخراجه من جريان الحوادث واحتدام الحالات وانتظام الحوار . تلك طريقة من طرائق التعبير ، وهي بين أنامل المازني في أسمى درجاتها

وأما الاسلوب فلشهرين مضيا يوم نقدت كتاب «عود على بدء» وقفتك على ترسله وتدفقه وتصرّفه وهذا الكتاب شاهد جديد على ان المازني من أحسن الكتّاب نسجاً وأعلاهم أداة . بل لا أعرف كاتباً حديثاً انقاد البيان له مثلما انقاد للمازني : قريحة مسعفة وخطو منفسح ومنطق حي . كلما تذكرك هنا وهنا بالبلغاء المتقدمين أمثال ابن المقفع والجاحظ . اقرأ له مثلاً ص ١٠٣ ... في هذا الاسلوب ... من لفظ زائد أحياناً (مثلاً ... «تترع بينها لا تزيد» ص ٢١ — ... ... وماذا وتعلى عنها» ص ١٠١ — «وكان فرعاً غير عذور» ص ١٠٤ ومع ... من ... وذكريات قراءة

(ص١١٨ و٢١٩). ومن محاسن هذا الأسلوب ما يطرد فيه من الفاظ فصيحة لاغنى عنها لاستيفاء التعبير في القصص وان عدها الجهال تفاصحاً اليوم . ومن محاسنه أيضاً ان الكاتب القدير قدرة الاستاذ المازني يستطيع ان يروّض الصعب ويدني البعيد « انظر اليه كيف ينفتل عن الحرج وهو يسرف في الغزل » (ص ٢١٠)

ولا أترك هذا الباب دون أن أخبرك بأن المازني في هذا الكتاب لم ينصرف الى الكلام الجاري على ألسنة الناس انصرافاً مقصوداً كما كانت حال قلمه في « عود على بدء » . فالذي يلوح لي انه ذهب اليه متباطئاً متثاقلاً ، فاني لم أحص له غير خمسة تعبيرات وألفاظ (ص ٣٦ و ١٣١ و ١٥٩ و ١٦٦ و ١٨٤)

تلك قصة « ابراهيم الثاني » وقد حاولت أن أنبهك الى خطرها من الناحية الاجتماعية وأن أبين لك رفعتها في جانب الادب الخالص ، بارك الله في براعة الاستاذ الصديق فهو يصبّرنا ويعزينا عن جلّ ما يخرجه الكتبة في هذا الزمن[1] ب . ف

حديث السندباد القديم

للدكتور حسين فوزي صفحاته ٢٧٥ صفحة من القطع الكبير ، طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

كان الدكتور حسين فوزي العميد الحالي لكلية العلوم في جامعة فاروق الاول والمدير السابق لمعهد الأحياء المائية في الاسكندرية في طليعة روّاد القصة الحديثة في مصر الذين شقوا الطريق ومهّدوها ، ووضعوا الأسس وثبتوها . وهو الى جانب هذا شاعر عذب الرنين كاد يعدّ على المسرح العربي جناحه يوم بدأ تأليف مسرحيته الشعرية كليوباترة لولا أن عرائس البحر وجنياته اجتذبته من عرائس الشعر وربات الفن ، ولولا ان شغلته حقائق العلم ومرئياته عن تصورات الخيال واحلامه ، ولكن رغم التحول فيه بقي للعالم حسين فوزي أسلوب القاص ورنين الشاعر ، حلاوة السرد وفتنة التعبير . ولا أنسى ودائعه لسفينته التي عبر بها المحيط الهندي وهو الذي ختم به كتابه « سندباد عصري » فهذا قصيدة شاعر . لهذا حبب الى القارىء ما يكتبه هذا العالم الأديب

فقد طالع قراؤه في كتابه السندباد العصري طرفاً من مشاهداته في رحلته في المحيط الهندي ، وهم يطالعون في كتابه الجديد « حديث السندباد القديم » لوناً جديداً من الرحلات

وقد امتد به خياله الى ثبج البحر الآن من فوق الشاطىء بعد أن عزت عليه المغامرات بسبب هذه الحرب الطاحنة ، وعادت به الذكريات الى قصص سمعها في طفولته ، وقصص

[1] المقتطف : تعد [illegible] بقية أخرى للادب الكبير الاستاذ عبد القادر المازني « ميدو وشركاه » ظهرت بمصر [illegible] وستعرض في عدد آت

قرأها في حداثته عن السندباد البحري وعن عجائب البحار فدفعه ذلك الى القيام برحلة خيالية في المحيط الهندي لا كما عرفه في رحلته الواقعية بل كما عرفه البحريون العرب فيما بين القرن التاسع والقرن الرابع عشر . فقرأ ما خلّف رحالة العرب وجغرافيوهم من آثار في هذا الفن، قرأه بروح الرحالة البحاثة على ضوء حقائق العلم الحديث ولاءم بين أساطير أولئك وبين الواقع الذي تجلّى لعالم اليوم. فكان هذا منهُ فضلاً على هذه الآثار وإحياءً لها وتجديداً

فلقد سمع رحالة العرب قصصاً ، ورأوا ظواهر طبيعية لم يستطع العلم يومذاك حلاً لها ، فرأى المؤلف من واجبه ان يكشف عن هذه الظواهر كعالم خبير ، وان يحقق هذه الاقاصيص تحقيق باحث امين ، فوُفّق في ذلك خير التوفيق ، وتناول في القسم الاول من الكتاب المعارف العربية في الرحلات والاقاصيص ؛ وتناول في القسم الثاني جوهر هذه الاقاصيص . واستطاع بذلك ان يتصدى لهذا الموضوع رجلاً واحداً جمع في نفسه من ابواب العلم والمعرفة ما مكّنهُ من تحقيق هذه الغاية بما هو أهل للثناء والتقدير

ولقد كان في اخراج هذا الكتاب ظفر للمكتبة العربية بأثر له قيمته ونفاسته من الوجهتين العلمية والادبية ، فهو كتاب يقرأه الاديب والعالم فيجدان فيه لذة روحية ومتعة عقلية ؛ ويجدان فيه هذه الحيوية التي تفيض بها آثار هذا المؤلف

حسن كامل الصيرفي

روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة

تأليف الياس ابو شبكة . منشورات دار المكشوف بيروت ١٩٤٣ في ١١٦ صفحة من القطع الوسط

لعلَّ خير ما يوصف به هذا الكتاب أن يقال انهُ تحية الى فرنسا والى الادب الفرنسي بوجهٍ خاص . فالمؤلف وان كان معنيًّا ببيان الصلات العقلية والثقافية بين العرب والغربيين عامة ، إلاّ انه يرى أن سائر الآداب الانسانية مدينة لفرنسا بالشيء الكثير ، لأن فرنسا كما قال أحد المؤرخين هي « القرن الذي يختمر فيه خبز الانسانية الثقافي » . ويحب أن نعلن تأييدنا للمؤلف في قوله (ص ١٧) : « ان الوضوح من الزايا الثمينة التي تتصف بها الفكر الفرنسي ودفعت أدباء الارض الى الاقبال على فرنسا ، والاستقاء من معينها فمنذ « أنشودة رولان » الى الربع الاخير من القرن التاسع عشر بقي أدباء فرنسا : كتابها وشعراؤها ، يحترمون تلك الحقيقة الادبية . وهي ان الاديب لا يكتب إلاّ لسواهم ، وان على الكاتب ان يكلف نفسه مشقة الافهام، وليس على القارىء أن يكلف نفسه مشقة حل الرموز والاحاجي » وقوله ص ١١٨ : « ويقيننا انه لولا ذلك الوضوح المشرق في الفكر الفرنسي لما كان للادب الفرنسي ذلك الشيوع العظيم في مشارق الارض ومغاربها » : ويجد القارىء ما يشبه هذا

الرأي مبسوطاً في خصائص « التفكير الفرنسي » وهو بحث لنا نشره المقتطف شهر نوفمبر ١٩٤٢ ص ٣٦٩ وما بعدها)

وجملة القول أن هذا الكتاب — على ما فيه من قصور في بعض المواضع — جدير بالاحترام ، لأنه يصدر عن قصد نبيل ، وعاطفة صادقة : وهي الاعتراف بالجميل لبلاد لها على الانسانية المفكرة يدٌ لا تنسى ، « فخرنا الأدبية ، كما قال المؤلف ، حية في كل أرض يستنشق فيها روح الماضي »

عثمان أمين

١ — اسكندر الأكبر

لعزيز خانكي بك — صفحاته ١٤٨ من القطع المتوسط — الطبعة العصرية

ظفرت المكتبة العربية بهذا الكتاب الذي يعد — على ما نعلم — أول مؤلف وضع بالعربية عن حياة ذلك العاهل الكبير . وعجيب جداً أن يظل الاسكندر الأكبر قروناً طويلة في التاريخ الاسلامي تروى له الحادثة ، أو يُذكر الخبر من أخباره أو الوقعة من وقائعه في عرض التاريخ كما فعل المسعودي والبيروني والمقريزي وغيرهم ، ولا يظفر من واحد من مؤرخي العرب بكتاب مستقل ودراسة مستقلة كما يفعل الغربيون في ترجمة بعض العظماء من رجالنا

ولاشك أن كاتب السير ومؤرخ الأبطال تستهويه من حياة الرجال نواح توحي اليه بالكتابة وتدفعه الى التحدث عنهم . وعزيز بك خانكي يعترف في مقدمة كتابه بهذا حين يقول (تولتني الدهشة من عظمة هذه الشخصية العجيبة فحفزتني الى كتابة سيرته ملخصة من الكتب التي طالعتها وهي تنيف على الستين)

وهذا العدد من المراجع ليس كثيراً على من يريد أن يتحف العربية بكتاب عن ملك وفاتح من أعاظم ملوك التاريخ وفاتحيه . وفي المؤلف صبر على معاودة هذه المراجع ، وفيه جَلَد كثير في التحقيق والتدوين وجمع المتشابه ولمّ الطرائف والنوادر . تعينه على ذلك ذاكرة قوية زاخرة بصور الماضي

أما الاسكندر وهل هو ذو القرنين أم هما رجلان فقد اختص المؤلف هذه المسألة بكلام طويل ورجع فيها الى حكم المجتهدين وبعض المحققين من المعاصرين ، ووددنا أن للمقريزي في هذا الموضوع كلاماً أحسب كلاً من أدلى دلوه في هذه المسألة ولكنهم لم يذكروه . وكلام المقريزي في الجزء الاول من خططه صفحة ٢٤٧ مطبعة النيل . وقد قامت في مجلة الرسالة الغراء من أشهر مناقشة في هذا الموضوع بين الدكتور ابراهيم الدسوقي والشيخ عبد المتعال الصعيدي ولكنهما لم تصل الى رأي حاسم

في هذا الكتاب مزيته صحة الاعلام الاوربية بحروف لاتينية . وكان فيه مزية أخرى

وهي إيراد بعض النصوص والعبارات الافرنجية مع ذكر ترجمتها العربيــة ، ولو انهُ في قليل من الأحيان لا يذكر الترجمة فيضيع على من لا يعرف الفرنسية بعض المعنى

أما أسلوب المؤلف فهو أسلوب المؤرخ المعنيّ بسرد الحوادث على نسق شائق ، ولهذا لا تجد فيه غرابة أو اغرابًا أو امعانًا في تكلف . ولكنه سهل يمتنع على من يحاوله . وتلك مزية عزيز بك خانكي في كل ما يكتبه من كتب وما ينشره من مقالات

ولعلَّ المؤلف بعد ما أشبع رغبة المؤرخ الممحص فيه بكتاب على هذا النمط ، يعود الى الموضوع نفسه فيشبع رغبة المترجم الاديب ورغبة جمهرة القراء في أسلوب من التراجم يخلو من النصوص وترجمتها الدقيقة ويحفل بقصة رجل ، فيها من التاريخ المحمَّص حقائقهُ وفيها من الرواية أسلوبها

٢ — الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

المجلد الثاني من القسم الاول — صفحاته ٤٦١ من القطع الكبير
طبعة كلية الآداب

مؤلف هذا الكتاب أبو الحسن علي بن بسَّام الشنتريني فهو من أهل الأندلس ، وهو غير أبي الحسن علي بن منصور بن بسَّام البغدادي الذي عاش في القرن الثالث الهجري وتوفي في مطلع الرابع

وفرق ما بين الـسمِيين في الزمان يزيد على مائتين من السنين ، أما فرق ما بينهما في الأخلاق فقد عرف من أدبهما وطريقة تأليفهما . فالبغدادي شاعر خبيث اللسان حديد الكلام لم يسلم من هجائه أبوه ولا جماعة من وزراء بغداد ، والاندلسي عف اللسان شريف المقال صان كتابه عن أن يذكر به من شعر الهجاء ما لم يتورَّع الثعالبي عن ذكره في كتابه اليتيمة[1]

ويعد طبع هذا الكتاب الجليل عملاً جليلاً لكلية الآداب ، فهو سجل لأدب الاندلس ومفتاح من مفاتيح الحياة الأدبية فيها . وهو كتاب تراجم وتعريفات وافية لكثير من شعراء الاندلس وأدبائها وعلمائها ووزرائها ولم يفت المؤلف أن يترجم لأعلام عصره أو يذكر شيئًا من أخبارهم كما صنع مع أبي العباس احمد بن قاسم المحدث[2]

ويمتاز ابن بسام بذوق أدبي خاص ، ويتجلى هذا الذوق في حسن اختياره لشعر الشعراء ونثر الكتَّاب وأسلوبه قوي إلا انهُ يؤثر السجع الذي كان طريقة أهل زمانه . كما انه مولع أشد الولوع باقتفاء أثر أهل المشرق في تعبيراتهم وله في نقد الشعر جولات تدل على بصيرة وفهم وتذوق . فهو يروي الأبيات للشاعر الاندلسي ، ولكنه لا يكتفي بذكرها بل يعلق

(١) المقتطف ج ٢ م ٩٣ مجلد ١٢ الجزء الثاني ص ٣٦١

عليها تعليقاً سريعاً هو أشبه بأحكام النقد الخاطفة في القرنين الرابع والخامس . وقد يردُّ المعنى المسروق الى صاحبه اثباتاً لفضل المسروق منهُ . ولكنه في كثير من مواضع النقد لا يتعرض للموازنة بين شاعر وشاعر أو بين معنى ومعنى بل يكتفي بإثبات السرق وتسجيل الأخذ ، ويترك القارىء لحكمه وخصوص نقده

ويخيل اليَّ أن ابن بسّام لم يأخذ نفسه بمنهج خاص من مناهج النقد ، فهو حيناً يتتبع المعاني الشعرية ويردها الى اصحابها ويقف عندها وقفات قد تبعده عما هو بسبيل الكلام فيه وهو أحياناً يمر على المعاني التي تستحق الوقوف عندها فلا يشير الى مآخذها ولا يردها الى أصحابها . مرَّ على بيت لأبي حفص عمر بن الشهيد سطر ٢ص ٢٠٠ فلم يذكّره بقول ابن الرومي

فغدا كالخلاف يورق للسمين ويأبى الأثمار كل الاباء

ولم يذكره بقول الآخر

في شجر السرو منهم مثلٌ   له رُواءٌ وما له ثمر

ومرَّ على البيت الآتي لابن الشهيد سطر ٩ ص ١٩٦

وأحسن من روض تحلى بنوره   عتبا ابن معن في حليّ الفضائل

فلم يذكره ببيت أبي تمام في الصوغ والفكرة : —

وأجلُ من ورد تفتح نوره   بياضُ العطايا في سواد المطالب

ولابن بسّام غير هذا الاغضاء كثير ، ومحال على إلمام ابن بسّام أن يعز عليه تتبع هذه المعاني التي يخيل اليَّ انه قصد الى إغفالها

أما الجهد الذي بذله القائمون بنشر الكتاب فهو جهد خليق بالاطراء والاعجاب ، لما صحب ذلك من عناية كبيرة تبدو الآن في تخرجه الهيئات العلمية والأفراد المحققون من موروث أدبنا القديم إخراجاً يحبب القارىء في قراءتها ويسهل عليه الرجوع اليها والاهتداء بها . وتلك عناية يجب أن يستحي منها قوم أضروا أدبنا وتراثنا بما نشروه من كتب مشوّهة مغلوطة

الاّ أن هذه العناية الكبيرة في كتاب الذخيرة لم تسلم من بعض هنوات في الطبع استدركها ناشروه في جدول خاص بالخطأ والصواب . ولكن هناك هنوات أخرى لم يشيروا اليها — وليس هنا موضع نشرها — ولكننا بارسالها الى الدكتور عبد الوهاب عزام طمعاً في أن تصحح في ذيل المجلد الثالث المترقب الظهور ، والقراء والأدباء على عزم من قسم اللغة العربية بكلية الآداب ان يضيفوا الى « الذخيرة » كنزاً آخر من الاسفار في الأدب العربي . » وتلك هداية فيها وعد استجابة بالرقي .

محمد عبد الغني حسن